

الخطاب الاجتماعي السالب وأثره في خلخلة عناصر تقوية الأُحمة الاجتماعية في السودان*

الدكتور محمود حمودة صالح(**)

Abstract

This paper discusses some negative social speech and its impact on the unsteady social kinship and social coherence in Sudan. It speaks about religions, intermarriage, and customs and traditions in the Sudanese society . It also talks about the impacts of migration on the society. Those issues gave a view about the elements that strengthen the society. The importance of this study raised from the problems of the current Sudan. The study aimed to pay attention of the Sudanese society to the factors that affected its racial and cultural components, and to find out the elements that affects the interaction.

Key words: social speech, religion in Sudan, social kinship, intermarriage , migration.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة بعض صور خطابنا الاجتماعي السالب والتي يجدها القارئ الكريم بين دفتي هذه الدراسة، لم تغطّ الدراسة جميع صور الخطاب الاجتماعي السالب، ولم تقم بحصرها فهناك صور لم أتطرق إليها. تتكون هذه الدراسة من عدة موضوعات وخاتمة، وفهرس بأهم المصادر والمراجع، تناولت الموضوعات أثر الأديان في المجتمع السوداني، ثم أثر التزاوج

* يقصد بالسودان جمهورية السودان قبل انفصال جنوبه 2011/7/9 م .
** استاذ مساعد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة إفريقيا العالمية

والتصاهُر في المجتمع السوداني، وأثر العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع السوداني، ثم أثر الهجرات في المجتمع السوداني. هذه الموضوعات تعطي صورة عن العناصر التي قوّت المجتمع ثم تناولت أثر الخطاب الاجتماعي السالب في المجتمع، وختمت البحث بخاتمة رصدتُ فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم ذيلتها بقائمة بأهم المصادر والمراجع اعتمدت عليها في كتابته.

ركّزت الموضوعات الأربعة الأولى على العوامل التي أثرت في تكوين المجتمع السوداني، وتشكيله، وأنصب الموضوع الأخير في أثر الخطاب الاجتماعي السالب، وانعكاساته على التلاحم الاجتماعي.

تتمثّل أهمية هذه الدراسة في المشاكل التي أملتها أحوال واقعنا الراهن، بما يكتفه من أوضاع داخلية، وهجمة خارجية، وخلخلة اجتماعية اشتدّ وقعها على مجتمعاتنا كلها، خاصة مجتمعات بلدان العالم الثالث، والتي ما زالت ترزح تحت وطأة الضغوط المحلية والعالمية، أردتُ من خلالها معالجة بعض الخلل الحادث في حياتنا اليومية، ونظرت إليها من زاوية أثر الكلمة السالبة في إضعاف المجتمعات.

وتهدف الدراسة بوجه عام إلى:

- 1- لفت نظر المجتمع السوداني إلى العوامل التي أثرت في تركيبته العرقية، والثقافية والاجتماعية، وتلك العوامل التي أسهمت بوضوح في تكوين الشخصية السودانية المتميزة بصفاتها الحسنة.
- 2- الكشف عن قوة التداخل العرقي، والثقافي، والاجتماعي، وقوة اختلاط دماء القبائل السودانية، وتقارب صلاتها النسبية.
- 3- بيان أهمية دراسة الأنساب، وأثرها في تقوية وشائج القرى، بينما دراسة القبائل تركّز على مفاخر القبيلة وأصالتها، وتميزها عن غيرها، مما قد يؤدي

إلى التنازع بين القبائل، بينما معرفة الأنساب تجمع المتفرقين، وتقرب البعيدين.

وتتمثل مشكلة هذه الدراسة في تفشّي النعرة العنصرية، والحمية القبلية، التي تفرّق ولا تجمع، وتباعد بين الناس، ولا تقارب بينهم، كما أنها تتمثل في استخدام خطاب جارح لمشاعر الآخرين، موغر لصدورهم، مضرّم لنيران الفتنة، مضعف لأواصر القربى.

وتفترض الدراسة أن:

- 1- جهل أفراد المجتمع بأنسابهم، وصلات قبائلهم بغيرها من القبائل هو أهم أسباب ظهور خطابنا الاجتماعي السالب.
- 2- ضعف الوازع الديني، والأخلاقي يعدّ من أهم العناصر التي ولدت ذلكم الخطاب السالب.
- 3- دراسة علم الأنساب تعد من أهم الأسباب التي تهزم ذلك الخطاب السالب، وتوحد الأمة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة، ويسبر غورها، ثم يحللها بهدف الوصول إلى نتائج تؤدي لوضع حلول للإشكالات الناتجة عن تلكم الظاهرة، أو الظواهر.

وقد أعملت أداة الملاحظة والمعينة حيث إن الباحث عايش بنفسه هذا الواقع الأليم، وتفاعل معه، خطيباً في المساجد، ومحاضراً في المحاضرات العامة، ومناقشاً في المناسبات الاجتماعية التي تعج بها الساحة السودانية.

أثر الأديان في المجتمع السوداني:

إن الأديان التي دانت لها إفريقيا عامة والسودان خاصة تتمثل في الديانات التقليدية، والديانات السماوية - أي المسيحية، والإسلام.

إن الأديان التقليدية تعتبر أول الأديان وجوداً في إفريقيا من حيث التسلسل التاريخي. يستند هذا الرأي إلى أنها وجدت مع وجود الإنسان في إفريقيا. وأن كثيراً من الظواهر الاجتماعية لا يمكن تفسيرها إلا بالرجوع إلى هذه الأديان (1).

لكن المتأمل في أساطير الديانات التقليدية، وكيف بدأت، يستنتج أن أصل هذه الديانات بدأ سماوياً ثم درّف بطول الأمد، وأبرز مثال هو عبادة الأصنام والأوثان في الجاهلية عند العرب. ومن النماذج المحلية عندنا قصة إله الدينكا (دينج هينغشي) رينا الكبير، تحكي هذه الأسطورة أن الطبيعة دَشَدَت مظاهرها المُرعبة من سُدُب وعواصف وبرق ورعد ثم هطلت أمطار غزيرة، وسُدت أصوات وكلام مصاحب لذلك كله، ثم نزلت بنت من السماء مع ذرات المطر اسمها (ألوت) أي بنت المطر، أو بنت الغمام أو الرزاز، وكانت حاملاً فولدت لتوها ولداً جميلاً بأسنانه. وقالت لهم: هذا الولد جاء معي من السماء، وأن اسمه (دينج ديت) وهو يحفظكم وهو الصلة بيني وبينكم. ثم هبت العواصف، وثار الرعد وازداد البرق ونزل المطر غزيراً ومن خلال نزول المطر والبرق والرعد طارت (ألوت) إلى السماء تاركة (دينج ديت) مع جماهير الدينكا.

تكلم (دينج ديت) حاثاً أي شخص من الدينكا ومن يعيش بينهم من أقوام آخرين لديه بقر لِيخصص منها بقرّاً ويحفظها باسم (دينج ديت) ولا يحق له بيعها، بل يستفيد منها في الزواج وشرب اللبن وأكل اللحم، وكذلك الضأن والمعز،

وأن يذبح كل شخص عند مطلع كل عام جديد ثوراً أو خروفاً، أو ماعزاً سميناً من حيوانات دينج ديت، ويفعل ذلك عند مواسم الأمطار والحصاد وغيرها. وأوصاهم دينج ديت أن يكون الزواج بالأبقار، وكذلك الدية والتعويض عن أجزاء الجسم، وأمرهم بالأبوا يقرّبوا الزنا ولا يسرقوا، ولا يقرّبوا زوجات الآخرين، ولا يقدروا بغيرهم، وأن يأووا الغريب والطريد من دياره، وأن يبروه ويضموه إلى القبيلة⁽²⁾

التزمت القبيلة بوصايا رسولها، أو إلهها دينج ديت وحافظت عليها. ولم تتأثر التزامات القبيلة بهذه الوصايا إلا بعد الحرب التي بدأت في 1983م، حيث أثر اللجوء والنزوح، وفقدان العائل، وانزواء الكبير، وظهور أخلاقيات الصراع المسلح، والانفتاح على العالم، والمنظمات الطوعية في تلك الالتزامات فاهتزت تلك الصورة الرائعة الجميلة لأكثر قبائل السودان قاطبة. فهل من سبيل إلى ترميم هذا البناء الشامخ من جديد؟

هذه الأسطورة لها دلالات متعددة، وهي لا تخفى على القارئ المتأمل. فهذه الديانة يبدو أن أصلها الإيمان بالله الواحد الأحد. والإيمان بإرسال الرسل، وأن الرسالة يحشد لها وتتجاوب معها أشياء الكون كلها، وهذا ما يحدث مع كل الرسالات السماوية، لهذا ينبهنا القرآن على ذلك في قوله تعالى: ﴿لَمَّا عَلَّ غَيْبٍ قَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ إِذْ دَلَّ ۚ﴾ {26} تَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَأَضْفَأُ {27} أَرْسَالَاتٍ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا {28}﴾، الجن. وقوله تعالى: ﴿لَوْ نَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا مُلَائِكَةً حَارَسَاتٍ يُوَدِّعْنَ أَكْثَرَهُنَّ مَقَاعِدَهُنَّ فَمَنْ يَسْمَعُ الْإِنِّ يَجْرِدُ لَهْ شَرِهَابًا رَّصَدًا وَيُحَاسِبُ أُنْدِيَةَ بِيْمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا {10}﴾ الجن. فالرسول تحشد له الملائكة، وتتجاوب مع رسالته أشياء الطبيعة، بل جميع مكونات الوجود.

تتمثل معتقدات الديانات التقليدية وطقوسها في:

. الإيمان بوجود كائن أعلى مجهول يتقرب إليه بعبادة الأصنام والتماثيل والحيوان.
. تقديس ظواهر الطبيعة كالشمس والرعد والبرق والكواكب.
. تقديس أرواح الأسلاف، والاعتقاد في تناسخ الأرواح وحلولها في الأحفاد.
هذه الأديان لها تأثير في أخلاق معتنقيها، وسلوكياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية⁽³⁾ أيّاً كان أصلها الأول الذي صدرت عنه.
أما الديانة المسيحية فتذكر الدراسات السودانية أن الدخول الأول لها إلى شمال السودان كان قبل الاعتراف بها كديانة رسمية للدولة؛ وقع قبل منتصف القرن السادس الميلادي بكثير، وذلك عبر جهود فردية قام بها أشخاص آمنوا بالمسيحية وقاموا بنشرها بين مواطنيهم.

وردت رواية في الإنجيل في أعمال الرسل تحكي أن خصياً من حاشية الكنداكة⁽⁴⁾، اعتنق المسيحية عندما حج إلى بيت المقدس. ويذكر أنه كان وزيراً للكنداكة، ثم عاد إلى مروي، وكان ذلك حوالي عام 37م⁽⁵⁾.

إن الشواهد التاريخية تشير إلى دور الجهد الرسمي في انتشار المسيحية في السودان، إذ إن التحول إلى المسيحية بدأ بالملوك، وطبقة الحكام والحاشية، ثم انداح نحو عامة السكان تدريجياً⁽⁶⁾. ويحدد لذلك فترة تاريخية بالذات وهي ما بين عامي 580م و643م.

اقترن دخول المسيحية إلى السودان بالصراع بين الذين يقولون إن للمسيح طبيعتين، وهم الملكانيون وعلى رأسهم الإمبراطور جستنيان (537-565)، وبين الموحدين (منوفسيين) قد عرفوا فيما بعد . باليعاقبة نسبة ليعقوب البردعي المصري، علماً بأنه لم يؤسس المذهب، ولكنه كان أحد دُعائه، والمنافحين عنه⁽⁷⁾. وتؤيدهم الإمبراطورة ثيودورا زوجة جستنيان نفسه. واليعاقبة هم أتباع الكنيسة

المصرية القبطية. بعثت ثيودورا رسلها إلى ملك نوباطيا (نوباديا) (المريس) وهي المملكة النوبية الشمالية وعاصمتها فرس ليدعوه للدخول في المسيحية فاستجاب لهم، واعتنق المذهب اليعقوبي، وعندما وصلهم وفد آخر من الإمبراطور جستنيان ردّوه ولكن رسل الإمبراطور توجهوا إلى ملك المقرّة ودعوه لدينهم فاعتنقه⁽⁸⁾ من خلال الواقع التاريخي اعتنقت مملكة المقرّة المذهب الملكاني الخلدوني⁽⁹⁾. واعتنقت مملكة علوة المذهب اليعقوبي. وبذا تكون اثنتان من ممالك النوبة الثلاثة وهما نوباطيا (نوباديا) وعلوة، داننا للبطريكية القبطية الأرثوذكسية في الإسكندرية، في حين كانت صلة مملكة المقرّة بالقسطنطينية مباشرة⁽¹⁰⁾.

تميزت تلك العصور بالصراع بين المذاهب والتيارات المسيحية، إلا أن التاريخ لم يسجل حالات اضطهاد لأصحاب تلك المذاهب بالممالك النوبية، علماً بأنه حفل بتسجيل حالات اضطهاد في أوروبا ومصر يندى لها الجبين وكان أشدها، وأكادها محاكم التفتيش الشهيرة⁽¹¹⁾.

إن ظاهرة خلو المسيحية النوبية من الاضطهاد تُفصح عن طبيعة هذا الشعب المتسامح المحب للحرية، الأبى المقاتل ((رماء الحدق))، الشجاع، والشجاعة قرينة صاحبها الحرية. إن الكنيسة النوبية تنفرد بنشأتها وازدهارها في جو من الاستقلال الكامل، فقد استعصت النوبة على الغزاة، مما اضطر الرومان لتوقيع معاهدة صلح معهم لمدة مائة عام، كما أن جيش قمبيز ملك الفرس لغزو النوبة ضاع وتبدد قبل الوصول إلى النوبة، وفشلت حملات المسلمين على النوبة مما اضطرهم لتوقيع اتفاقية البقط⁽¹²⁾.

إن ظاهرة حب الحرية والاعتزاز بها ما زالت تميز الشعب السوداني، وهي قيمة بالمراعاة عند وضع الخطط والبرامج وتنزيل السياسات إلى الواقع، كما أنها

قمنية بالمراعاة عند إبرام العهود والمواثيق والالتزام بها، فإن الحدُّ ر الأبى لا يقبل الإهانة، ولا ينقض عهداً أو موثقاً، ولا يخفر ذمّة.

من هذا العرض يتضح أن الدخول الأول للمسيحية إلى السودان اقترن بالتأثير السلطاني الواضح، وكل ذلك انعكس على مسيرتها حيث كان الدين رمزاً للملك، وفي خدمة السياسة لا الشعب.

قامت تلك الممالك النوبية بحراسة المسيحية والدفاع عنها، حيث تمكنت مملكة المقرّة من صد هجمات المسلمين القادمين إليها من مصر، ووقعت مع عبد الله بن سعد والى مصر اتفاقية تعايش عرفت باسم اتفاقية البقط المشهورة عام 31هـ - 652م. والتي حفظت التوازن بين المسلمين والنوبة⁽¹³⁾ لمدى قدره أكثر من (600) ستمائة عام. أي حتى سقوط دولة المقرّة النوبية في القرن الرابع عشر الميلادي الموافق للعام 723 الهجري، بسبب الصراعات والتنافس الشديد بين أمراء البيت الحاكم، والتغيير الكبير الذي اعترى المجتمع النوبي بسبب الهجرة الواسعة للقبائل العربية المسلمة ولتزاوج بينهم والنوبة، وتحول السلطان إلى أبناء النوباويات من العرب حسب العرف النوبي الجاري في التوارث عبر الأمهات⁽¹⁴⁾.

أما الدخول الثاني للمسيحية فقد جاء متزامناً مع الاجتياح الأوروبي الواسع لإفريقيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وحمل معه بذور الصراعات الأوروبية الدينية والمصلحية، وقد عبّر عن ذلك الرئيس الكيني جومو كينيا حين ذكر بأن القسس جاؤوا والإنجيل في أيديهم والأرض في أيدينا فأصبحت الأرض في أيديهم والإنجيل في أيدينا⁽¹⁵⁾. وعبّر عنه بروفيسر/ مزروعي بأنهم لم يقدموا للمجتمعات الإفريقية شيئاً سوى الصليب الخشبي⁽¹⁶⁾.

They Have given us nothing but this wooden cross.

وقد أدرت المسيحية بما جلبته من سلوكيات الصراع، بين الدين والسلطان، على سلوكيات معتقياً من السودانيين، فانعكس ذلك على الحياة العامة، خاصة على مستوى الجماعات المُسَدَّية، وظلت الكنيسة - في السودان - تتدخل في الشأن السياسي بصورة واضحة للعيان.

أما الإسلام فبدأ دخوله إلى السودان عبر البوابة الشمالية الشرقية منذ القرن الأول للإسلام. وذلك لأن الصلة بين العرب والنوبة في شمال السودان كانت قديمة. إذ تذهب بعض النظريات إلى أن اللغة العربية أصلها لغة إفريقية قبل الانكسار الأرضي الذي نتج عنه البحر الأحمر المالح. والذي فصل الكتلة العربية النوبية إلى شطرين نتجت عنهما القارة الإفريقية، والجزيرة العربية، وظل البحر الأحمر قناة اتصال وتواصل مستمراً بين طرفي الجسم القديم، فلم تنقطع الجزيرة العربية عن إفريقيا. ولم تنقطع إفريقيا عن الجزيرة العربية. واللغة العربية تنتمي إلى أسرة اللغات الحامية. السامية "Hemeto-Semitic" وتسمى أيضاً أسرة اللغات الأفرو-أسيوية "Afro-Asiatic" ولهذا كانت اللغة العربية أسبق في الوجود في إفريقيا من الإسلام⁽¹⁷⁾.

لم يدخل الإسلام إلى إفريقيا جنوب الصحراء عامة، والسودان خاصة عبر الفتوح العسكرية، كما حدث في بعض مناطق شمال إفريقيا. على الرغم من محاولات المسلمين المتكررة لغزو بلاد النوبة، حيث تم صدّهم واعتراض مسيرتهم، مما اضطرهم لتوقيع اتفاقية البقط الشهيرة مع النوبة.

دخل الإسلام إلى السودان عبر حركة التجار والشيوخ والعلماء والمهاجرين، ثم انداح حتى صار هو دين أهل الشمال، وكان أول ملك نوبي مسلم جلس على العرش هو عبد الله برشمبو عام 1316م⁽¹⁸⁾ ومن ثمّ تكونت للإسلام ممالك إسلامية زنجية عربية مثل السلطنة الزرقاء، وهي عبارة عن تحالف بين الفونج

والعبدلاب. وسلطنات سنار وقرّي والمسبغات، ومملكة الفور، ومملكة تقلي الإسلامية بجنوب كردفان (19).

إن الإسلام يمثل نظاماً شاملاً للحياة، خلافاً لليهودية والمسيحية، وقد قرر المستشرق جيب ذلك فقال: (إن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له أسلوبه المعين في الحكم، وله قوانينه الخاصة) (20) ويقول شاخت: (الإسلام أكثر من دين، إنه يمثل نظريات قانونية وسياسية، ومجمل القول أنه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً) (21). ففي الإسلام لا فصل بين الدين والدولة. وهذا ما أثبتته المستشرقون أنفسهم، يقول البروفسور ح. د. أندرسون: (بيّن القرآن الموحى به من عند الله، كل ما يجب على المسلم الاعتقاد فيه بينما تقرّر السنة كل ما يجب عليه أن يفعله، أو يمتنع عن فعله، ومن ثمّ تعتبر الشريعة الإسلامية أكثر اتساعاً. في ماتتضمّنه. من أيّ نظام قانوني حديث، لأنها تحاول تقييم أفعال الإنسان) (23).

إن السنة النبوية توافق القرآن الكريم فيما يقرره من اعتقاد، أو يأمر به من عمل، أو ينهى عنه من أفعال، لأن أصلها موصى به عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {فَإِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ}﴾ (4) (23)، لذلك فلا مجال لاختصاصها بإيجاب الأفعال، أو النهي عنها بمعزل عن القرآن الكريم، هذه الأديان جميعها تلتقي في أنها ذات أثر بالغ في معتقدات أصحابها، وطرائق تفكيرهم، وسلوكياتهم، وألفاظهم، ومدى تقبلهم للآخر.

أثر التزاوج والتصاهر في المجتمع السوداني:

يرجع أصل السودان والحبشة إلى كوش بن حام وهم النوبة والبجة والزنج والزاوة والقاو والمرويون ومرنده والكوكو وغانة والحبشة.

ويرجع أصل القبط (الأقباط) إلى ببصر بن حام بن نوح عليه السلام (24). من هنا يتضح أن السودان والحبشة والقبط بنو عمومة فهم يلتقون في حام بن نوح عليه السلام.

هذه المجموعات اتصلت بها القبائل العربية التي هاجرت من جزيرة العرب، خاصة بعد انهيار سد مأرب في اليمن، كما اتصلت بها قبائل منطقة شبه القارة الهندية عبر التجارة عن طريق باب المندب، واتصلت بها قبائل القارة الأوروبية عبر البحر الأبيض المتوسط، وعبر مضيق جبل طارق. حيث تعايشت كل هذه المجموعات العرقية المختلفة وتزاوجت فيما بينها، فانصهرت في بوتقة واحدة. ضمن هذا الحراك الاجتماعي وقع التزاوج بين المجموعات القبلية السودانية ذات الأصول الزنجية والأخرى ذات الأصول العربية حتى بلغ من أمره في بعض المناطق أن ذابت القبائل في بعضها، وامتزجت امتزاجاً يعجز المرء عن تأمله. عن تمييز من هو العربي ممن هو الزنجي؟ (25) انظر في ذلك أنموذج قبائل جبال النوبة. حيث تسمى فرع من قبيلة الحوازمة. ذات الأصول العربية. بأولاد نوبة (26)، وذلك لامتزاجهم الشديد بالنوبة. فانعكس ذلك إيجاباً على الترابط الاجتماعي وقويت به الألفة السكانية، والاجتماعية وهذا الأنموذج الذي قدمت لا تخلو منه منطقة من السودان مهما نأت. سواء أكانت في أقصى الشمال أم الشرق أم الغرب أم الجنوب أم الوسط.

إن عنصر الزواج يؤدي إلى تمدد أنساب الأسر، وتوسيع علاقاتها الاجتماعية، لهذا وجب على كل شخص دراسة أصوله وأنسابهم ليتمكن من صلة رحمه، والتي بها تقوى أواصر المجتمع وروابطه، وقد حدثنا القرآن الكريم على صلة الرحم، ونهانا عن قطعها، أو الإساءة إليها، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا رَبِّكُمْ** **الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ حَتْفِكُمْ مِّنْ حَتْفِهَا وَجَهَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَ أَرْجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً**

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (27) ، وقال تعالى: لَنْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ {22} لَذَلِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (28) .

كما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم أنسابنا بغية صلة أرحامنا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في أثره) (29) .

والرحم قد تكون قريبة، وقد تكون بعيدة، والمسلم مأمور بصلة الرحم وإن كانت بعيدة، وإن كان طحبها يهودياً، أو نصرانياً، أو مشركاً أو كافراً .

لقد أثر التزاوج والتصاهر في سحنات السكان ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وأديانهم وعمقت الرابطة الأسرية، والقبلية عن طريق التزاوج والتصاهر، وانعكس ذلك على التعايش السلمي بين مكونات المجتمع، واقتصادياته، وتداخلت المجموعات البشرية في السودان تداخلاً لا تخطئه العين.

أثر العادات والتقاليد والأعراف في المجتمع السوداني:

إن من ثمرات التزاوج أن أنجب أولاد (30) من أمهات أصولهن زنجية وآباء أصولهم عربية أو العكس (31) . فإذا كان بعض أولئك الأمهات من بنات السلاطين، ورث أبناؤهن ملك آبائهن حسب العادات والتقاليد. فوراثة العرش تسير حسب نظام الأمومة، فغالباً ما يرث ابن الأخت العرش دون خاله (32) . وفي بعض الحالات يكون الأب من أصول زنجية والأم من أصول عربية، هذه الظاهرة لا يخلو منها موقع من أقاليم السودان قط.

كان هذا عاملاً في تقوية الترابط الاجتماعي بين مكونات المجتمع السوداني. ولما وقع التزاوج، واختلطت الأعراق، ورسخ التعايش بين السكان، تأثر

الجميع بالعادات والتقاليد والأعراف المتبادلة بين المجموعات القبلية التي تصاهرت، فنقلت الأمهات عادات أصولهن القبلية، وكذا فعل الآباء فنتج عن ذلك نقل واسع للعادات والتقاليد والأعراف خاصة في مجال الطقوس والعادات الاجتماعية في الأفراح والأتراح، وفي المواسم المختلفة، فكل موسم عاداته وتقاليد.

لقد أثر التداخل العرقي والقبلي والثقافي والاجتماعي واللأغوي في سهولة اندياح العادات والتقاليد، وانتقالها من مجموعة إلى أخرى بكل يسر وسهولة، دون أن يحدث ذلك صراعاً بين العناصر المكونة للمجتمع.

هذه هي أهم العوامل التي أثرت في تركيبة مجتمعاتنا ووجهت مسيرتها، وهناك عوامل أخرى كثيرة منها الحروب الأهلية المتطاوله الأمد، حيث تعتبر الحرب الأهلية السودانية أطول حروب القارة الإفريقية، ومنها الجفاف والتصحر، النزوح واللجوء، العوامل الاقتصادية والعوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية، هذا على المستوى الداخلي، أما على المستوى الخارجي فمنها: العولمة، وآلياتها الإعلامية، والعسكرية، ومنظماتها الأممية. ومحاولاتها لمحو ثقافات الشعوب، وتنجينها. كل هذه العوامل أثرت في مجتمعا بدرجات متفاوتة.

ولما كانت الكلمة هي وسيلة التواصل الموجب أو السالب؛ جاءت هذه

الدراسة لتعالج خطر الكلمة السالبة على المجتمع. وقديماً قيل عن أثر الكلمة:

أرى تحت اللدو مَ يَضُ نار * * * وأخشى أن يكون له ضدِ رام

إن النار بالعودين تَذَكَّى * * * وإن الحرب أولها الكلام

فقلت من التعجب: ليت شعري * * * أأيقاظ أميئة أم نيام؟⁽³³⁾

أثر الهجرات في المجتمع السوداني:-

إن السودان يمثل بوتقة للتمازج والانصهار عبر التاريخ، فقد امتزجت فيه العنصر الحامِية والسامية والزنجية الأوروبية منها والإفريقي، والأسوي، ووقع التداخل بين سكان السودان، وأقباط مصر، وبينهم وبين كل من الرُّومان، والفُرس، والإغريق، والأشوريين، والفراعنة وغيرهم، فنتج عن تلك المسيرة التاريخية الطويلة⁽³⁴⁾ تلاحق الثقافات والأفكار والعادات والتقاليد، وامتزاج الأعراق، واختلاط الدماء، فنجم عن ذلك السمات المشتركة التي تكون الشخصية السودانية الحاضرة. بالتأمل في رسومات الشواهد التاريخية الشاخصة في كل من دنقلا وكرمة والبحراوية، والبركل في شمال السودان وغيرها، يتضح أنَّ هذه المناطق لم تكن مناطق سيادة للعنصر العربي، وآخر دليل على ذلك المومياء التي تم اكتشافها بمنطقة سد مروي بشمال السودان، فتقاطيعها تدل دلالة واضحة على أنَّ هذه المنطقة كانت تقطنها قبائل نيلية (دينكا، شك، نوير، منداري)، أو قبائل نوبية، والتي ما زالت موجودة هناك حتى اليوم، وهذا في رأيي هو الأرجح، إذ إن تقاطيع أجسامهم والوشم الذي على وجوههم إما للدينكا (جينق) أو النوير أو الشلك (السلو). أو غيرهم من القبائل النيلية أو النوبية.

وهذا يدل على أن حركة هجرة السكان والقبائل من موطن إلى آخر لم تنقطع عبر التاريخ. حيث تشير بعض الدراسات إلى أن القبائل النيلية كانت تقطن منطقة شمال السودان. وتشير دراسات أخرى إلى غير ذلك. فمثلاً نجد بعض الدراسات تقول أن أصل قبيلة الشلك هو قبيلة ((اللو)) التي تقطن المنطقة الواقعة بين أوغندا وكينيا، وهي إحدى المجموعات النيلية الوسطى التي تمثل المجموعة النيلية الكبرى الثانية من الزنج، وهم سلالة مختلطة من الحاميين والزنج. والشلك أكثر اختلاطاً مع جيرانهم البانتو الذين يشكلون المجموعة النيلية الثالثة، وتتكون

المجموعة النيلية الثانية من الشلك والأنوك والبير والجور والبلاند واللانجو والأتور والجالو والكورو والأشولي (35) .

إن أغلب الشلك هجروا موطنهم القديم، وهاجروا وتوغلوا شمالاً حتى تخوم مدينة الخرطوم. بل تثبت الدراسات السودانية العلاقات الوطيدة بين الشلك وبلاد الفونج (36) .

هذا الأنموذج عن الشلك يدل على أن الأصول العرقية للقبائل النيلية تنتمي إلى سكان المنطقة الاستوائية وأن علاقتها بالسودان الشمالي جاءت نتيجة للهجرات السكانية المعتادة.

هذا الأنموذج يصلح تطبيقه على جميع القبائل في السودان بل العالم بأسره. فما زالت عوامل الهجرة المختلفة قائمة، وما زالت دواعيها حيّة لم تمت، وتمثل الهجرة أهم عناصر التمازج البشري عبر العصور.

إن الدراسات السودانية تشير إلى أن أقدم الشعوب التي سكنت السودان وادي النيل هم الزنوج، إذ يُقدر تاريخهم بعشرة آلاف سنة، تليهم في ذلك القبائل النوبية ثم البجا ثم القبائل العربية.

إلاّ أنني أشير إلى أن الهجرات السكانية من منطقة إلى أخرى لم تنقطع طوال العصور المختلفة، فمن أقدم الهجرات هجرات سكان اليمن إلى منطقة البجا بعد انهيار سد مأرب أيام فتنة بخت نصر (750.2000 ق. م) (37) ، وآخرها تقريباً هي هجرة بعض بطون قبيلة الزاندي من غرب إفريقيا (38) إلى جنوب غرب السودان. وهجرة قبيلة الرشايدة إلى شرق السودان والتي هاجرت من الجزيرة العربية (السعودية) إلى السودان في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (39) .

وقد حدثت هجرات داخلية وأخرى إلى دول الجوار، إما بسبب الحرب التي دارت رحاها في السودان قبيل خروج المستعمر الإنجليزي حيث بدأت الحرب في

أغسطس 1955م واستمرت حتى توقيع اتفاقية أديس أبابا عام 1972م. ثم انفجرت مرة أخرى في 1983م وتوقفت بموجب اتفاقية السلام الشامل في 2005م. ووقعت هجرات بسبب البحث عن موارد أفضل للدخل، مثل الهجرات التي وقعت من مناطق السودان المختلفة إلى مشروع الجزيرة الذي أنشئ عام 1925م. وكذا الهجرات التي حدثت بعد إنشاء مشاريع صناعة السكر مثل مشروع سكر عسلاية وكنانة. وأتوقع حدوث هجرات بسبب إنشاء مشروع سد مروى. ووقعت بعض الهجرات بسبب الجفاف والتصحر مثل هجرات سكان شمال كردفان ودارفور في ثمانينيات القرن الماضي، إلى مواقع مختلفة في السودان. كل هذه الهجرات أثرت في ثقافة السكان وعلاقاتهم الاجتماعية وعدلت في أنماط التركيبة السكانية.

احتضن السودان مجموعات مصرية وهندية وتركية وإفريقية⁽⁴⁰⁾ وغيرها. فهم خليط من القبائل العربية، والنوبية، والجاوية، ويقال إن أصل بعض قبائل الشمال كالجعليين والشايقية نوبي اختلط بالمهاجرين العرب وانتسبوا إليهم⁽⁴¹⁾ ويذهب بعض الدارسين إلى أن أصل الجعليين يرجع إلى قبيلة الفور⁽⁴²⁾. امتزجت هذه العناصر السكانية المختلفة فتكوّن من ذلك سكان السودان الحاليين ومن طرائف هذه التركيبة السكانية أن السودانيين إذا سافروا إلى الأقطار العربية يقولون لهم أنتم أفارقة، وإذا سافروا إلى الأقطار الإفريقية يقولون لهم أنتم عرب.

إن أكثر أهل السودان تداخلاً فيما بينهم هم قبائل النوبة والبقارة في جنوب كردفان. والدينكا والمسيرية في غولهاجانية والفور، والرزيقات والدينكا. وأقدمها امتزاجاً قبائل الشمال الأعلى بمختلف مجموعاتهم خاصة الجعليين منهم. ولا تخلو أواسط السودان من ذلك فقد تجد شاعراً عربياً مفوهاً أبوه من القبائل العربية وأمّة

من القبائل النيلية، وكل هذه القبائل جاءت إلى هذه المناطق عبر هجرات متلاحقة.

درج أهل السودان فيما بينهم على تسمية سكان كل منطقة باسم منطقتهم أو باسم آخر اصطلح على إطلاقه عليهم الشمال يسمون جلابية، وأهل الغرب يسمون غرابية وأهل الشرق يطلقون عليهم اسم أدروب وأهل الجنوب جنوبيين. ويميل النوبيون في الشمال إلى الانتساب إلى المناطق التي يقطنونها مثل الدناقلة نسبة إلى مدينة دنقلا⁽⁴³⁾.

هذا الملخص السريع يوضح بجلاء مدى التداخل العرقي والقبلي واللغوي والثقافي والاجتماعي والجغرافي بين قبائل هذا البلد الذي يمثل في جوهره أنموذجاً مصغراً للقارة الإفريقية فلم يعد للتفاخر بالنسب، والزهو بنقاء الأصل شيء تمتاز به قبيلة من قبائل السودان وادي النيل عن غيرها: (فمن ظهور أجدادهم عرباً وأفارقة، وتمازج الخؤولة والعمومة، بزغت أجيال، وأنظمة من السياسة والاجتماع)⁽⁴⁴⁾. لهذا رأيت أن أسهم بهذه الدراسة المختصرة ذات الطرح الجريء علماً تلفت أنظار قبائلنا ومكونات مجتمعا إلى أنه لا فضل لأي منها على الآخرين، فهم جميعاً بنو آدم عليه السلام، وآدم من تراب.

هذه الدراسة وإن جاءت أمثلتها التطبيقية محصورة في جمهورية السودان المعروفة إلا أنها تصلح للتطبيق على كل أقطار القارة الإفريقية، وقد قال لي أحد الإخوة من دولة نيجيريا عندما طلع عليها: (والله هذا هو ما عندنا في نيجيريا تماماً). كما أن أحد الإخوة من منطقة باو بولاية النيل الأزرق، علق على مسألة الخطأ الاجتماعي السالب، وذكر أنهم في قبيلتهم يسمون القبائل الأخرى بالعبودية وفق لهجتهم المحلية.

نحن في حاجة ماسة لمثل هذه الدراسات، وفي حاجة ماسة أيضاً لإجراء حوارات مستمرة وموضوعية حولها حتى تتلاقح الأفكار، وتتقارب النفوس وتمحي الشكوك، وتزول الظنون التي ينميها الجهل بتاريخ القبائل الأخرى، ويزكّيها سوء الظن بالآخر، والشك في نواياه، وتحميل أقواله معاني لا تحتملها.

الخطاب والممارسات الاجتماعية السالبة وأثرها في المجتمع:

يعيش أي مجتمع في وئام تام وانسجام كامل بين مكوناته القبلية المختلفة، عبر التصاهر وإقامة الأحلاف، والتواضع على وسائل لحل المنازعات التي تقع بين أفراد وجماعته من وقت لآخر. وعبر المشاركات الاجتماعية في الأفراح والأتراح، لكن الأمور لا تسير دائماً وفق ما يشتهي الناس بل تقع في حياتهم مكدرات تعكر صفو العيش في المجتمع. تبدأ تلك المكدرات صغيرة ثم تتسع دائرتها، فيتولد عنها مصائب قد تصل إلى حد الاقتتال بين أفراد الأسرة الواحدة. خاصة وأن المتجاورات متعاورات⁽⁴⁵⁾. فهؤلاء إخوة يوسف عليه السلام يتآمرون عليه ليصفوه جسدياً، أو يغيّبوه عن ناظري والديه. ولهذا قص علينا القرآن الكريم قصته لتكون لنا عبرة وعظة، قال تعالى في سورة يوسف: ﴿قَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ لِيُؤسِفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْلُومَنَّا عُنْدِي إِنَّ أَقْتُلُوا يُوَسُفَ فِي الظَّرِّ مُجِبُّهُ أَرُّ ضَا يَخْلُ لَكُمْ وَجَهُ أَبِيكُمْ وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَادِقِينَ (46)

فالمؤامرة هنا منبعها الحسد والغيرة على يوسف عليه السلام ومنبعها - أيضاً - سوء الظن بالأب بسبب حبه ليوسف عليهما السلام. وفي حالات أخرى قد يكون منبعها التنافس على المال، أو الجاه، أو السلطان، أو الاستئثار بالأموال،

كالسيطرة على الأرض بغرض استخلاص منافعها. إلى غير ذلك من الأمور الدنيوية.

وفي تاريخ السودان الحديث لنا عبر وعظات ودروس، نستقيها . إذا تأملنا . من فترات الانفلات التي أدت إلى حروب، مثل فترة الحكم التركي حيث أدى الظلم الواقع على المجتمع من قبل الحكام إلى ثورة الإمام المهدي (عليه رحمة الله). ثم الصراعات التي أدت إلى انهيار دولة المهديّة، بين الأشراف والخليفة عبد الله تعلّيشي وبين أهل الغرب وأهل البحر، وما نجم عنها من أديبات اجتماعية رَ بَّتَ الجِدَّات عليها أجيالاً متعاقبة، زرعت في نفوس الناشئة الكراهية لبعض القبائل، يقول كرم محمد كرم⁽⁴⁷⁾ تعليقا على كتاب الغرّابة: [إن هناك جدارا سميكا، أو حواجز نفسية وضعها المستعمر، وجسّدتها الظروف الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية بيننا وبين إخواننا في غرب السودان، وإخواننا الذين أتوا من غرب إفريقيا، واستوطنوا السودان وادي النيل، فأصبحنا ننظر بالدونية لمن يأتي من هذه المناطق باعتبار أنهم أتوا من شعوب متخلّفة، وأنهم الغرّابة، وأنهم سكان العشش، ولا نعرف أنهم أتوا من مناطق كانت مهد حضارة إسلامية قبل دولة الفنج التي نعتزُّ بتاريخها، وقبل المهديّة بقرون...]. [ثم أشار إلى الأسباب التي وُلِّدَت عنها تلك النظرة] فقال: (غاب عن كثير من أبناء السودان [الشمال] خاصة الذين لم يبارحوا مدنهم، ويجوبوا أنحاء السودان، أو تأثروا بحساسيات الثورة المهديّة، وقد أدّى ذلك إلى وسم كل من يأتي من الغرب بأنهم غرّابة)⁽⁴⁸⁾، وهذا يعني أن مصطلح غرابة ارتبط نفسياً واجتماعياً لدى بعض سكان السودان بالتخلّف والدونية، وأحيانا بالعبودية وقد انعكست هذه النظرة سلباً على خطابنا الاجتماعي، فأحدث ذلك ردة فعل من مجموعات الغرابة تجاه مجموعات البحارة، فأطلقوا عليهم أوصافاً تدل على الخسة، ومجافاة مبادئ الدين الإسلامي، وعرف أهل السودان فصارت

كل مجموعة قبلية تحتقر المجموعات الأخرى. وتفاخر بصفاء أصولها ورفع مكانتها، وشر فيها، وتصف غيرها بأسوأ الأوصاف. (فود الغرب لا يسر القلب)، وهو يعني أن: (الذي يجيء من الغرب لا يسر القلب). والمقصود به الأخبار غير السارة عن أبناء الولايات الشمالية الذين استوعبهم غرب السودان، مثل أخبار الوفاة، أو المرض، أو الخسائر المالية، أو التجارية. وعندما ظهر البترول في غرب السودان تغيرت المقولة إلى: (إما مغترب، أو ود غرب). فإذا طبقت هذه المقولة في شقها الثاني، فلربما تغير الحال، وإن من أدبنا الاجتماعي السدّ يار: (إذا وجدت ولد الديبب (الثعبان) وولد الشايقي، فاقتل ولد الشايقي ولا تقتل ولد الديبب). وما ذلك في ظني إلاّ حسداً للإخوة الشوايقة الذي حباهم الله بملاكات وقدرات، وخبرات، وتقدم على الغير في شتى مجالات الحياة.

كما أننا نجد بعض الانحرافات في أدبنا الاجتماعي في النظر إلى الشخص من خلال لونه، أو جهته مما أثّر في خطابنا الاجتماعي، فالأسود نصفه بأنه (عبد)، حتى بين مجموعات الغرابة أنفسهم، فقبائل غرب السودان ذات الأصول العربية - وهم ينتمون لجهينة - مثل الرزيقات، والمسيرية، والحوازمة، والهبانية، والتعايشة، وغيرهم ممن يسمون بالبقارة، ينعنون كل أسود بالعبودية، علماً بأنهم لم ينجوا من سواد البشرة، وينطبق هذا الحال على مجموعات جهينة في شمال السودان، مثل الجعليين، والشايقية وغيرهم. كما يوصف الأسود - غرباوي أو جنوبي - بأنه إنسان من الدرجة الرابعة. ويصف إخواننا من جنوب السودان الشمالي - سواء أكان من الشمال الأعلى، أو وسط السودان، أو غربه - بأنه منذكورو⁽⁴⁹⁾، وأبناء الشرق ننعنهم بأدروب - وعادة ما يقصد به الشخص الذي لا يفهم شيئاً -، وننظر إلى سكان الكنابي⁽⁵⁰⁾ في الجزيرة نظرة احتقار ونقول بأن الفلاتي مخلوق بعد الذباب، وهذا فيه مصادمة لصريح القرآن الكريم، ولاتخلو قبيلة

سودانية من التزاوج مع الفلاته إلا نادراً⁽⁵¹⁾ وكذا يساء لسكان أطراف العاصمة، وقد انداح هذا النظر ليكون واقعاً معاشاً في أحيائنا الطرفية، مثل: أمبدة، والحاج يوسف، والكروتونات، ومايو، وزقلونا، وجبرونة، ورأس الشيطان وغيرها. فانعكس هذا أيضاً على خطابنا الاجتماعي بل امتدَّ إلى تقديم الخدمات الحكومية، والتوظيف في أجهزة الحكم، والدولة، والأجهزة الحزبية المختلفة.

هذا الأدب الاجتماعي تغذيه الصحف و المسرح، وأشرطة النكات الساخرة. (أهل العوض)⁽⁵²⁾. ويقصد بهم سكان منطقة الجزيرة بوسط السودان . وبعض الكتابات الثقافية، خاصة ما كتب عن تجار الرقيق إبان الحرب. وتصرفات بعض قصيري النظر ممن يوكل إليهم إدارة أمر البلاد.

وقد اشتدت حدة هذا الخطاب الاجتماعي منذ فجر الاستقلال، بل قبيل الاستقلال، فكان أحد أسباب الحرب الأهلية التي طال أمدها. ولا نغفل دور المستعمر الذي غداها قبل نشوبها وعمل جاهداً على إطالة أمدها. وقد زرع أسباب لخصام والفرقة بين أبناء الوطن الواحد مستخدماً في ذلك سيرة تاريخ الغزو التركي للسودان، الذي جاء في معيته تجار أوروبيون ومصريون وشاميون وسودانيون، عملوا جميعاً في التجارة عن طريق المقايضة أولاً ولكن سرعان ما غيروها إلى تجارة في الرقيق وكوّنوا لأنفسهم جيوشاً للإغارة على السكان المحليين وأخذهم رقيقاً ؛ مما أوغر النفوس وملاها بالكراهية علماً بأن ثقافة بعض القبائل تبيح لها بيع أبنائها إذا اغتربوا بعض الجرائم، فيصيرون رقيقاً لدى الغير، ويتم تداولهم في الأسواق عن رضى من أهلهم. كما أن منظماتنا السياسية وبعض الأكاديميين عملوا على زيادة وتيرة هذا التوتر الاجتماعي بإثارة قضية الرّق بعد أحداث الضعين المشهورة. فنتج عن ذلك خطاب اجتماعي غير متوازن، يصف القبائل ذات الأصول العربية باسترقاق أهل الجنوب و قبائل النوبة بجنوب كردفان ، وبيعهم

في الجزيرة العربية ، ويصفهم بطرد الأفارقة أصحاب الأرض الأصليين من أرضهم (53) .

استغلت بعض منظمات المجتمع المدني هذا الخطاب لتعمق الهوة بين مكونات هذا المجتمع المتسامح الطيب فظهرت مصطلحات التهميش، والكرديفورية، وغيرها لتملأ النفوس غلاً وحسداً وحقدًا على الشق الآخر من المجتمع. تولد عن هذا الخطاب توتر ذهني وشد عصبي، وترقب وتحفز لاهتبال الفرصة المواتية للانتقام من الآخر، دون نظر موضوعي للمسألة.

وأرى أنه قد آن الأوان لتلتقي مكونات المجتمع، في صراحة تامة تدير حواراً أهدت تعرف من خلاله بقبح هذا الخطاب، وتتفق على تغييب مصطلحاته من قاموسها الاجتماعي فكنا (بنوا آدم وآدم من تراب) (54) ، (ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) (55) و (متى استعبدتم للناس وقد ولدتكم أمهاتهم أحراراً) (56) . وقوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ شُرُوعًا وَقَبَائِلَ لِنَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) (57) .

هذا الخطاب الاجتماعي السالب لا يتم تصحيحه إلا بدراسة متعمقة لقبائل السودان وأنساب أهله نتعرف من خلالها على أصول قبائلنا، ومواطنها الأصلية، وهجراتها، وتصاهرها مع غيرها من القبائل والإمام بعاداتها، وأعرافها، وتقاليدها. حيث يتعرف كل منها على أرحامه في القبائل الأخرى، فنتعلم من أنسابنا ما نصل به أرحامنا.

إن المسلم مأمور بصلة رحمه، قريباً كان أو بعيداً ، حيث تبدأ دائرة صلة الرحم بالأقرب رحماً ثم تتداح الدائرة حتى آدم وحواء عليهما السلام، فنصل رحمتنا الإنساني مطلقاً، سواء أكان مسلماً، أم كتابياً، أم مشركاً، أم كافراً . والأدلة من

القرآن والسنة كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَرِهَ اللَّهُ لِقَوْمٍ أَنْ يُكْفَرُوا بِاللَّهِ وَهُمْ يُؤْمِنُونَ بِالْحَدِيثِ فِي الْحَمِيمِ﴾ (58). فهذه الآية تنبهنا على أصلنا الذي ذلّقنا منه، وتنبهنا على صلة رحمتنا في الإنسانية مطلقاً، وإن كان بعيداً.

حبذا لو تقرر تدريس أنساب قبائل السودان في مراحل تعليمنا المختلفة. لو قدر الله وحدث هذا فإن كل شخص سيعرف أن له صلة بعدد كبير من القبائل الأخرى التي هاجرت قبيلته إليها أو هاجروا هم إلى تلك القبائل وتزوجوا معها أو انصهروا فيها، أو تحالفوا معها.

إن دراسة أنساب القبائل السودانية تبين أن كل قبيلة لها صلات ووشائج عميقة بالقبائل الأخرى، بل إنه عند فحص بطون القبائل وفروعها يتبين أن القبيلة ما هي إلا عبارة عن تجمع لعدة قبائل التقت حول قبيلة أصل واندمجت لتكوّن قبيلة واحدة في مظهرها العام، وسلطانها الإداري وموطنها الجغرافي، لنضرب بعض النماذج بكبريات القبائل:

الأنموذج الأول: قبيلة الدينكا:

يمثل الدينكا ثاني أكبر قبيلة في إفريقيا بعد قبيلة الماساي في كينيا، وهم يمثلون 11% من سكان السودان، و50.4% من سكان الجنوب، وأهم مدنهم: أويل، وبور، ورمبيك، وبيرول وغيرها. أسهم الدينكا في الثورة المهدية إسهاماً فاعلاً وكان لهم دور بارز في نصرتها.

من الثابت أن الدينكا جاؤوا من الهضبة الأثيوبية لقرون خلت، وأنهم استوطنوا أعالي النيل، ومنها انداحوا إلى بحر الغزال، وفي بعض الفترات استوطنوا مناطق النيل شمالاً حتى الخرطوم وقد تزوجوا مع القبائل التي حلّوا بديارها،

أوغلبوا عليها، بعد صراع ومعارك كثيرة. تمثل القبائل التي ذابت في الدينكا أكثر من 50% من أصل قبيلة الدينكا (59)، وقد تزوجوا مع قبائل شتى منها بعض القبائل ذات الأصول العربية، مثل الرزيقات والمسيرية والهبانية والجعليين وغيرهم. ومن أجل توثيق بعض العلاقات وتعميقها تزوج بعض الزعماء بنات زعماء القبيلة الأخرى.

الأنموذج الثاني: قبيلة الجعليين:

وهي قبيلة ذات أصولية عدنانية، وهم من العرب المستعربة، ويدُجَمُ عُونُ بوصل نسبهم بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وهم أوفر العدنانيين بالسودان عدداً ومن أعظمهم شأناً في تاريخ السودان، وهم من المهاجرين إلى السودان من الجزيرة العربية. وموطنهم التاريخي بالسودان هو المنطقة حول نهر النيل والتي تمتد من شمال الخرطوم وحتى شمال مدينة بربر الحالية، وأشهر مدنهم شندي والتممة.

إن المقولة المنسوبة لجد الجعليين ((إبراهيم جعل)) والتي يستقبل بها القبائل الوافدة على الجعليين في ديارهم: ((جعلناكم مِثًّا))، هذه المقولة لهي خير دليل على أن المجموعة الجعلية تضم بين جنباتها اشتاتاً من القبائل، التي ذابت فيها. فالمجموعة الجعلية من فروعها الشايقية والبديرية والجمِّوعية والميرفاب والجمع والمناصير والرباطاب والجميعاب والحوالدة وغيرهم. اختلط الجعليون بالنوبيين، والزنوج بشمال السودان، واختلطت فروعهم جميعها بالعناصر التركية والشركسية والأحباش والبجة، وبالقبائل النيلية وخاصة الدينكا. ولهم صلة قوية بالهمج، واختلط بهم الحلقة بمنطقتي كبوشية وبربر⁽⁶⁰⁾. وعلى هذا قس بقية القبائل من نوبة وبقارة وفور وغيرهم.

هذان الأنموذجان يدلان بما لا يدع مجالاً للشك بأنه لا يستطيع أحد أن يفاخر بنقاء أصله، أو علو شأن عرقه فوق بقية الأعراق ولنتذكر أننا جميعاً خلقنا من نفس واحدة. وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله سبحانه وتعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية، وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقى، وفاجرٌ شقي، والناس لَبْفٌ، وآدم من تراب، لينتهي ن أ قوم فخرهم برجال، أو ليكون ن أهون على الله من ع دتهم من الجعلان⁽⁶²⁾، التي تدفع بأنفها الدتن⁽⁶³⁾ .

الخاتمة

إن هذه الدراسة عبارة عن جهد طرحته للمناقشة والتداول حوله لمجموعة كبيرة فاقت الخمسمائة شخص، حيث قدمتها لثلاثة تجمعات مختلفة الأعراق والأعراف والأنساب والجهات والبلدان والمستويات العلمية، والثقافية والاجتماعية. من شمال السودان وجنوبه وغربه وشرقه ووسطه، وشارك فيها أخوة من عدد من الدول الإفريقية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً . ثم قدمتها خطبة جمعة بأحد مساجد الخرطوم⁽⁶⁴⁾ . حيث اتصل بي بعد الخطبة مباشرة الأستاذ الدكتور / محمد على حسين نائب مدير جامعة إفريقيا العالمية للشئون العلمية آنذاك. وطلب مني أن أطرحها في شكل كتاب للجمهور، وقد وعدته خيراً. كما أنني كتبتها بصورة أولية في حوالي عشرين صفحة (A4) وقدمتها لعدد من الأخوة فعلقوا عليها، وقد أفدت كثيراً من تعليقاتهم وضمنتها صلب هذا البحث، فلهم مني الشكر والتقدير.

طَرَحْتُ هَذِهِ الدَّرَاسَةَ بَعْضَ الرُّؤْيِ والمفاهيم التي تحتاج منا لحوار جاد حولها، ومن ثم تطبيقها في الواقع العملي. أنني أظنّها تلمست مواطن الداء، فلنشترك جميعنا في وضع الدواء الناجع له.

خلصت هذه الدراسة إلى الآتي:

دراسات إفريقية

1/ أن المجتمع السوداني تكونت سماته التي تميزه عن غيره من المجتمعات . رغم حداثة تشكل الدولة . منذ زمن طويل، متأثرة بعدة مؤثرات، منها الدينية مثل الديانات الإفريقية والديانة المسيحية والديانة الإسلامية. ومنها مؤثرات عرقية مثل الأتوجة والعروبة، حيث تصاهرت تلك الأعراق فأنتجت الشخصية السودانية المتميزة. فالسوداني زنجي ممزوج بدماء العروبة بل هو خليط من أعراق شتى، خلاف الزنجية والعربية. مع تفاوت من منطقة إلى أخرى. ومنها المؤثرات الثقافية حيث امتزجت الثقافات المحلية بالثقافات الوافدة مثل الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الأوربية، خاصة إبّان فترة الغزو الأوروبي للعالم الثالث، حيث بسطت الثقافة الغربية نفوذها الديني والعسكري والتعليمي، واللاّعوي، ونمطها الثقافي والقانوني والسلوكي لتؤسس أنموذجاً أوروبياً بديلاً للأنفوج المحلي الذي تكوّن عبر تلاقح القافات في هدوء تام فأحدث ذلك التدخل الوافد حديثاً خلافاً في البنية الاجتماعية بين الوافد الدخيل، والمحلي الأصيل. كما أن الثقافة الإغريقية والثقافة الفرعونية وثقافات شرق إفريقيا وغربها، قد أدّرت في تشكيل المجتمع المحلي.

ومن خلال اتصال هذه المؤثرات بعضها ببعض تكونت الشخصية السودانية المتميزة بالسماحة والكرم والشجاعة والصفح وتقبل الآخر مهما كانت معتقداته أو هويته الدينية أو الثقافية أو الاجتماعية ومهما كان لونه أو عرقه أو البلد الذي قدّم منه.

هذه الشخصية بهذه المكونات هي الأوق على التعايش فيما بينها في سلم ووثام، إذا استطاعت إبعاد تأثير العامل الخارجي عنها. والسودان كله أنموذج معبر عن حسن العشرة وطيب المعشر.

2/ لا بد من وضع خطة مشتركة تساهم فيها جميع مكونات المجتمع السوداني، من إدارة أهلية، إلى أحزاب سياسية، وطُرق صوفية، ورجال دين

ومفكرين، وقادة رأي عام، إعلاميين وأكاديميين ومصلحين، تستهدف تنفيذ برامج تعالج الإشكاليات التي ألمت بالنسيج الاجتماعي السوداني. ومن ثم تصحيح مسارات الفعل الاجتماعي ككل.

3/ كشفت هذه الدراسة بجلاء قوة التداخل الإثني بين قبائل السودان، حيث لا توجد قبيلة ما . إلا نادراً جداً . تستطيع أن تجزم بنقاء دمها، وخلو أصلها من شوائب التصاهر، والتزاوج، وتداخل الأعراق، واختلاط الدماء مع الآخر. ولا تستطيع أي مجموعة بشرية . عندنا . تجريح الآخر همزاً أو لمزاً أو صراحة، بالطن في وضاعة أصله الذي ينتمي إليه، فإن عروقتنا تحمل أخلاطاً من الدماء المختلفة الأصول، المنسجمة التكوين. وما من قبيلة فاخرت بأصالة نسبها ورفعة مكانتها إلا وشدتها طنُ بٌ (حبال) الآخر . الذي تحسب أنه وضيع النسب . أن يا هذي: إن لنا دماء في عروقتكم تجري، ولكم أواصر قريى بنا تصل.

أقول تواضعوا لله يرفعكم و : (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال، منسأة في الأثر)⁽⁶⁵⁾ ، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام...﴾⁽⁶⁶⁾ .

بعد هذا العرض المختصر لواحدة من المسائل التي أثرت في إضعاف

الترباط الاجتماعي أخلص للمقترحات الآتية:

1. ضرورة نشر ثقافة السلام الاجتماعي بين مكونات المجتمع السوداني.
2. النص على بعض القواعد القانونية التي تحاسب من يحرض الآخرين عن طريق الإيحاء أو الإيعاز الطويل الهادئ، على كراهية أي دين أو جنس أو مهنة أو طبقة اجتماعية، تطبيقاً لمقررات الدستور الانتقالي لسنة 2005م.

3. بسط ثقافة الحوار، وتقبل الرأي الآخر، وتحمله، والإفادة منه، مع مراعاة قواعدا الاجتماعية والدينية والثقافية التي تنظم علاقاتنا الرأسية مع من هم أكبر منا سناً، أو مكانة، وإن خالفونا الرأي، أو المعتقد. فهذا فرعون يرسل الله له نبيين كريمين يأمرهما ربهما أن يقولوا له قولاً لينا، مع إدعائه الألوهية والربوبية، وتنظم علاقاتنا الأفقية مع من هم أنداد لنا، وكذا علاقاتنا التكاملية مع جناحي المجتمع المرأة والرجل.
4. لا بد من إعادة كتابة تاريخ قبائلنا وأنسبنا، وردّ كل قبيلة إلى أصولها، وتبيين علاقات الأنساب، وتداخلات التصاهر، وتبصير أفراد مجتمعاتنا بذلك، خاصة الناشئين منهم.

نتائج الدراسة :

بعد إعمال الدراسة لأدواتها توصلت الدراسة للآتي:

- 1- أن التعايش السلمي بين لأديان في السودان من أفضل المجتمعات تاريخياً، وحتى الآن لا يوجد تمايز بين الناس على أساس معتقداتهم ومن أنصح النماذج تعايش المسلمين مع الأقباط في مدينة أم درمان، على الرغم من التباين العرقي والديني والجغرافي في إفريقيا عامة والسودان خاصة إلا أن التزاوج بين القبائل المكونة للمجتمع كان كبيراً جداً، وفي بعض المناطق أفرز مجموعات تدعي أنها لا تنتمي للعنصر الزنجي ولا العنصر العربي كمجموعة قبيلة الشوابنة بولاية جنوب كردفان بالسودان⁽⁶⁷⁾.
- 2- إن العامل الديني لم يكن عنصر تفريق وشقاق بين مكونات المجتمع السوداني، إذ تجد الأسرة الواحدة . في بعض الحالات . تتكون من مسيحي ومسلم ووثني ويستظلون بظل بيت واحد، ويعيشون في وئام تام، ويميل الشعب السوداني عامة للتسامح وقبول الآخر وصلة الأرحام

3- أن المرء يلاحظ أن شروخاً بدأت تطفو على السطح مؤثرة على هذا المجتمع المتضامن المترابط المتراحم. حتى وصلت إلى حد الاحتراب والافتتال. وسفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وتخريب الديار، وتشريد الأسر وترميل النساء، وتيتم الأطفال، ونهب الأموال، وقطع الأرحام، وخذف الأحلاف، ونقض العهود والمواثيق. في عدد من الدول الإفريقية نذكر منها: السودان ومنطقة البحيرات وليبيريا والصراع المسلم المسيحي في نيجيريا ومصر وغيرها من البلدان.

4- اتضح من خلال الدراسة أن الدين يمثل عنصر إدماج اجتماعي للمجتمعات الوثنية والأقليات المسيحية بجنوب السودان ولا يوجد استنكار للمعتقد.

توصيات الدراسة:

- 1- توصي هذه الدراسة مراكز الأبحاث العلمية الاهتمام بدراسة التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين في السودان الشمالي والجنوبي وتقديمه نموذجا لمجتمعات عربية أخرى أقل مقدرة على التعايش من السودان كما هو الحال في مصر ولبنان
- 2- توصي الدراسة أيضا باستثمار التباين الديني إيجابا في علاقة السودان الخارجية حيث يمكن تقديم خدمات للأقباط في إثيوبيا في إطار تعليم العقيدة القبطية واللغة العربية .
- 3- توصي الدراسة الاستفادة من منهج الطرق الصوفية في مناطق التعددية الدينية حيث يتسم هذا المنهج بالمرونة وعدم المحاددة.

4- توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة الأنساب اهتداء برسول الله صلى الله وسلم الذي أوصي بتعلم الأنساب ، لأنها تكون سبباً في صلة الأرحام وبها يتعرف الشخص على صلته بالآخرين.

الهوامش :

* أقصد جمهورية السودان قبل 2011/7/9م، وهو تاريخ بداية الدخول الفعلي في تكوين دولة جنوب السودان.

1. انظر: د. عبد اللطيف محمد البوني، الدين والمجتمع: عامل تقسيم أم تكامل (134:113). مجلة دراسات إفريقية، الصادرة عن مركز البحوث والترجمة بجامعة إفريقيا العالمية، العدد (11)، يونيو 1994م. محرم 1415هـ، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم. السودان: 114.
2. انظر: أحمد عبد الله آدم، قبائل السودان، نموذج التمازج والتعايش، شركة مطابع السودان للعملة، رقم الإيداع (97/521): 2220. وأبيل أليز، جنوب السودان، التمادي في نقض المواثيق والعهود، ترجمة بشير محمد سعيد، ود. جعفر طه، دار عزّة للنشر والتوزيع، 2005م: 22، 23. ود. البوني، الدين والمجتمع: 114، مرجع سابق.
3. انظر: د. البوني، الدين والمجتمع: 114، المرجع السابق.
4. الكنداقة: هي الملكة الأم في المملكة المروية. انظر: بروفيسر/ عون الشريف قاسم، حول تاريخ الأديان في السودان، مجلة دراسات إفريقية، العدد (11)، مرجع سابق: 41.
5. أعمال الرسل: 3936/8، وروفيسر عون الشريف قاسم: 41، مرجع سابق.
6. د. مكى شبكية، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، ط3، 1411هـ. 1991م: 26.
7. انظر: محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ط3، 27 ذو القعدة 1381م هـ. 1966/3/19م: 137/وم بعدها.
8. د. مكى شبكية، السودان عبر القرون: 23، مرجع سابق.

9. الخلقوني: نسبة إلى بلدة خلقدون التي انعقد بها المجمع المسكوني عام 451م، وانقسمت المسيحية في أعقابها إلى ملكانيين وموحدين، انظر عون الشريف قاسم: 41.
10. انظر: د. مكي شبكية، السودان عبر القرون: 26، مرجع سابق، وعون الشريف قاسم، حول تاريخ الأديان في السودان: 4241، المرجع السابق.
11. انظر: محمد أبو زهرة: 29، وما بعدها، مرجع سابق.
12. انظر: الأب القمص فيلو ثاوث فرج، كاهن كنيسة الشهداء بالسودان، النوبة والاستقلال السياسي، جريدة الوطن (السودانية)، العدد (1457)، بتاريخ 24 جمادي الأولى 1428هـ. 2007م، عمود السودان زمان: 13.
13. انظر: مروج الذهب، باب بين النوبة وفتح مصر: 176/1، ضمن الموسوعة العلمية الشاملة، الإصدار الثاني (CD)، وتاريخ اليعقوبي، باب ممالك الحبشة والسودان: 74/1، ضمن الموسوعة الشاملة (CD). وانظر: الأب القمص فليو ثاوث فرج، عمود/ السودان زمان، النوبة والاستقلال السياسي، جريد الوطن (السودانية)، العدد (1457)، 24 جمادي الأول 1428هـ. 2007/6/10م: 13.
14. انظر: عون الشريف قاسم، مرجع سابق، 43.
15. انظر: د. عون الشريف قاسم، مرجع سابق، 44.
16. بروفيسير/ على مزروعى، فيلم تسجيلي بعنوان: Africa the trihiertage contentent، من ثمانينيات القرن الماضي، شاهده بمدينة جوبا (الكاتب).
17. انظر: أ. د. يوسف الخليفة أبوبكر وآخرون، اللغات في إفريقيا (مقدمة تعريفية) قُدِّم لملتقى الجامعات الإفريقية، الذي نظّمته جامعة إفريقيا العالمية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، ط1، 2006م: 87 وما بعدها.
18. د. مكي شبكية، السودان عبر القرون: 50، مرجع سابق.

19. إبراهيم محمد آدم حامد، الأبعاد الفكرية والسياسية والتنظيمية للحركة الشعبية لتحرير السودان، (2000.1983) دراسة حالة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، إصدار رقم (44): 42.
20. د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط عام 1984م: 105.
21. د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين: 105، المرجع السابق.
22. البروفسور ح. د. أندرسون، أوجه الإصلاح الحديث للقانون الإسلامي في السودان (دراسة مقارنة)، ترجمة هنري رياض، دار الجيل، بيروت. لبنان، ط1، 1413هـ. 1993م: 13.
23. سورة النجم، الآية: (3، 4).
24. انظر: تاريخ اليعقوبي: 74/1، مرجع سابق.
25. انظر: بورفير عون الشريف قاسم، حول تاريخ الأديان في السودان: 43، مرجع سابق. ود. إدريس سالم الحسن، البجا في شرق السودان: 54، 59، مرجع سابق.
26. على حموداتهم نُزَل، قبيلة الحوازمة، ومكون الهوية السودانية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط1 محرّم 1425هـ. مارس 2004م: 63.
27. سورة النساء، الآية: (1).
28. سورة محمد، الآية: (22، 23).
29. أخرجه أحمد في مسنده، حديث (8868): 456/14، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ - 1999م، والحاكم في مستدرکه، حديث (7284): 178/4، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.
30. والولد أقصد به الذكر والأنثى.

1. تمثل ولاية جنوب كردفان خير أنموذج لهذا التراجيح، حيث زوّج بعض النّوبة من نساء أصولهن عربية منذ أكثر من قرن تقريباً، (الكاتب).
32. انظر: مكي شببكية، السودان عبر القرون: 27، مرجع سابق.
33. هذه الأبيات لنصر بن سيّار والي خرسان، من قبل دولة بني أمية. انظر: د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط7، 1964م: 18/2.
34. ويليام ي. آمز، النوبة رواق إفريقيا، ترجمة محمود التجاني محمود، شركة مطابع الفاطيمة أخوان، ط2، القاهرة، 2005م، مقدمة المترجم: xi.
35. انظر: سلفادور أتر أشويل، جريدة الصحافة (السودانية)، العدد (5005)، بتاريخ الإثنين 4/جمادي الأولى / 1428م الموافق 21 مايو / 2007م، مقال بعنوان: تعقيب حول قبيلة الشلك أو الشلو، ص9.
36. انظر: نعوم شقير، جغرافية وتاريخ السودان، دار الجيل، بيروت، ط2، 1972م: 232.
37. - الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهمته الإسلامية والتنمية في السودان، دار جامعة القرآن الكريم للطباعة، ط2، 1998م، الهامشان (3) و (5): 58.
38. حسن مكي محمد أحمد، السياسة التعليمية والثقافة العربية في جنوب السودان، إصدار: شعبة البحوث والنشر بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، معامل التصوير الملون السودانية، ذو الحجة 1403هـ. 1983/9/8م: 8.
39. د. إدريس سالم الحسن، بحث بعنوان ((البجا في شرق السودان))، انظر: مجلة دراسات إفريقية إصدار مركز البحوث والترجمة، بجامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم. السودان، العدد الحادي عشر، يونيو 1994م. 1415هـ، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، (6651): 53.
40. المرجع نفسه، 53.

41. ويليام ي آدمز، النوبة رواق إفريقيا: 78، مرجع سابق، ود. عبد الله عبد الماجد إبراهيم، الغرابة، دار الحاوي للطباعة، ط1، 1418هـ. 1998م: 265.
42. د. عبد الله عبد الماجد: 264، المرجع السابق.
43. انظر: وليام ي. آدمز: 68، مرجع سابق.
44. المرجع السابق، مقدمة المترجم: (vi).
45. أي أن الأشياء المتجاورة يتأذى بعضها من بعض، فالأسنان كثيراً ما تؤذي اللسان، ولكنه لا يغضب، ولا يخلي مكانة لها، ولا يترك الدور المنوط به أداؤه. (الكاتب).
46. سورة يوسف، الآيات (7، 8، 9).
47. كرم محمد كرم، من مواليد السواقي الجنوبية بمدينة كسلا، بالسودان، حصل على درجة الماجستير في الإدارة التنموية من جامعة برمنجهام بإنجلترا، تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم والاجتماع في جامعة الخرطوم عام 1964م، عمل ضابطاً إدارياً بالحكومات المحلية منذ تخرجه، وتقل بين مديريات (ولايات)، ومحافظات (محلّيات) السودان المختلفة، حيث عمل بكل من مروى وعطبرة بالمديرية الشمالية (لايتي الشمالية ونهر النيل حالياً)، ثم أعالي النيل، فالاستوائية، ثم جنوب دارفور (نيالا)، ثم على مديراً تنفيذياً بالإقليم الأوسط (ولايات الجزيرة وسنار والنيل الأزرق)، ثم نائباً لحاكم الإقليم الشرقي (ولايات كسلا، والبحر الأحمر والقضارف)، ثم معتمداً للعاصمة القومية بعد الديمقراطية الثالثة، قرأ على أسرته في رمضان ستينيات القرن الماضي الماضي صحيح البخاري، متزوج، يعمل الآن بهيئة الإغاثة العالمية بمكة المكرمة، مسئولاً عن منطقتي جيبوتي والصومال. مقابلة مع د. سليمان محمد كرم، أستاذ الفقه وأصوله، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة إفريقيا العالمية، وشقيق المترجم له، يوم السبت 2007/9/8. وانظر: عبد الله عبد الماجد إبراهيم، الغرابة، 18، 19، مرجع سابق.
48. عبد الله عبد الماجد، كتاب الغرابة، مقدمة الكتاب.

49. ومنذ كوررو تعني اللون الأحمر، ولكن المعنى المقصود هنا الكلب الأحمر مقطوع الذنب، مقابلة مع السيد/ ناتا أليكو سامسون، يوم 2007/4/23م، وهو من جنوب السودان ولد بمدينة جوبا عام 1967، وبها درس حتى المرحلة الثانوية، ثم درس علم اللاهوت بجامعة Sts. Paul Major Simnary University بإيطاليا، وكان قسيساً ثم أسلم، وهو يعمل ببنك التنمية الصناعي بالخرطوم.
50. الكتابي، وأحدها كنبو، وهي عبارة عن تجمعات سكانية منتشرة داخل مشروع الجزيرة الزراعي بالسودان، يقطنها عمال زراعيون، تم استقدامهم . غالباً . من غرب السودان، أو جاؤوا لتحسين أوضاعهم المعيشية طوعاً (الكاتب).
51. والفلاتة هم الفولاني ولكن مفهوم أدبنا الشعبي العام يقصد بهم جميع القبائل التي تنتمي لمنطقة غرب إفريقيا (الكاتب).
52. شريط كاسيت مسجل، قدمه/ محمد موسى الذي ينتمي لفرقة تيراب الكوميديا.
53. انظر: د. حسن مكي محمد أحمد، المشروع التنصيري في السودان، مرجع سابق، ص90 وما بعدها.
54. أحمد بن حنبل، المسند، حديث رقم (8721).
55. أحمد بن حنبل، المسند حديث رقم 23536 والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 4749، المكتبة الشاملة.
56. حياة الصحابة: 231/2، ومحب الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامي: 222/1، وعطية بن محمد سالم، (ت: 1420هـ)، شرح بلوغ المرام، الدرس رقم 205: 8.
57. سورة الحجرات.
58. سورة النساء.
59. انظر: أحمد عبد الله آدم، قبائل السودان: 19.18، مرجع سابق.
60. انظر: أحمد عبد الله، قبائل السودان: 32.28، المرجع السابق.

61. بُلْفَخُوَّة، وَالكَبْرُ وَالْفَخْر، انظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية: 303/3، وابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، 572/1.
62. الجُءَلَان جمع جُءَل، وهو دابة سوداء من دواب الأرض، ويسمى أبو جُءَلَان، انظر: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (ب. ت): 110/11.
63. أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (8736): 349/14، مرجع سابق.
64. مسجد جامعة إفريقيا العالمية.
65. الترمذي في سننه (1979)، أحمد في مسنده (8855) المكتبة الشاملة، وهو حديث صحيح.
66. سورة النساء، الآية (3).
67. تقطن قبيلة الشوابنة الأجزاء الجنوبية الشرقية من ولاية جنوب كردفان، بجمهورية السودان (الكاتب).

ثبت المصادر والمراجع

- [1] القرآن الكريم.
- [2] الإنجيل، أعمال الرسل.
- [3] ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ-1999م.
- [4] الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م.
- [5] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، (ب.ت).
- [6] أبو بكر، أ. د. يوسف الخليفة أبو بكر وآخرون، اللغات في إفريقيا، مقدمة تعريفية، ضمن فعاليات ملتقى الجامعات الإفريقية، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، ط1، 2006م.
- [7] أبو زهرة، محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، ط3، 27 ذو القعدة 1318 هـ . 1966/3/19م.
- [8] آدم، أحمد عبد الله آدم، قبائل السودان، نموذج التمازج والتعايش، شركة مطابع السودان للعملة، 1997م.
- [9] أليير، أيل أليير، جنوب السودان، التمادي في نقض المواثيق والعهود، ترجمة/ بشير محمد سعيد، ود. جعفر طه، دار عزة للنشر والتوزيع، 2005م.
- [10] أندرسون، البروفيسير/ ح. د. أندرسون، أوجه الإصلاح الحديث للقانون الإسلامي في السودان "دراسة مقارنة"، ترجمة هنري رياض، دار الجبل، بيروت . لبنان، ط1، 1413هـ . 1993م.
- [11] بدوي، عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط عام 1984م.

- [12] البوني، عبد اللطيف محمد البوني، الدين والمجتمع، عامل تقسيم أم تكامل، (113-134)، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والترجمة، جامعة إفريقيا العالمية، العدد (11)، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم - السودان، يونيو 1994م . محرم 1415هـ.
- [13] حامد، إبراهيم محمد آدم حامد، الأبعاد الفكرية والسياسية والتنظيمية للحركة الشعبية لتحرير السودان، (1983م . 2000م)، "دراسة حالة"، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، إصدار رقم (44).
- [14] حسن مكي، د. حسن مكي محمد أحمد، المشروع التصيري في السودان، (1843.1986م)، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، إصدار /شعبة البحوث والنشر، بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، 1411هـ . 1991م.
- [15] الحسن، إدريس سالم الحسن، البجا في شرق السودان (51-66)، مجلة دراسات إفريقية، العدد (11)، يونيو 1994م . محرم 1415هـ.
- [16] حسن، د. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط7، 1964م.
- [17] الخطيب، محب الدين الخطيب، الغارة على العالم الإسلامي.
- [18] شبكية، مكي شبكية، السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، ط3، 1411هـ - 1991م.
- [19] عبد الماجد، د. عبد الله عبد الماجد إبراهيم، الغرابة، دار الحاوي للطباعة والنشر، ط1، 1418هـ . 1998م.
- [20] فرج، فليوثاوث فرج، النوبة والاستقلال السياسي، جريدة الوطن [السودانية]، العدد (1457)، 24 جمادى الأولى 1428هـ . 10 / 6 / 2007م، عمود/ السودان زمان.
- [21] قاسم، بروفيسير / عون الشريف قاسم، حول تاريخ الأديان في السودان، مجلة دراسات إفريقية، العدد (11)، يونيو 1994م . محرم 1415هـ.

- [22] مرتضى الزبيدي، محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- [23] مزروعى، بروفيسر/ علي مزروعى، فيلم تسجيلي بعنوان: Africa the triheirtage contenent، شريط فيديو .
- [24] المسعودي، مروج الذهب، باب بين النوبة وفاتح مصر، ضمن الموسوعة العلمية الشاملة الإصدار الثاني، (CD).
- [25] ل، معلى حموده صالح م ن ز ل، قبيلة الحوازمة ومكنون الهوية السودانية، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، ط1، محرم 1425هـ . مارس 2004م.
- [26] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، باب ممالك الحبشة والسودان، ضمن الموسوعة العلمية الشاملة.

